الأكاذيب اليهوديّة تغزو المصادر العربية

إن التضليل التوراتي، والخرافات الإسرائيلية، والأكاذيب اليهودية، والأساطير العبرانية قد لوت إليها أعناق كثير من المؤلفين العرب في التاريخ والتفسير والمواعظ، فألوت بعقولهم، وأخذت بقيادهم، وغزت كتبهم، وتسللت إلى قصص مجالسهم، وقصائد أشعارهم، وما استطاعوا منها فكاكاً، ودخلوا كلّ جُحْرٍ دخله كتبة التوراة، وصدق فيهم قول رسول الله: «لتتَّبعنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قبلكم، شبراً بشبراً، وذراعاً ذراعاً، حتى ولو دخلوا جُحْرَ ضبّ تبعتموهم»، قال الراوي: قُلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمنْ؟» استفهام إنكاري؛ أي: فمن غيرهم؟ والاتباع في القول والرأي، كالاتباع في العمل، فالقول والرأي يسبقان العمل. فقد نطق هؤلاء بلسان يهود، وحققوا لهم كل مطلب وموعود، فكانوا بمنزلة القناصل الفخريين لليهود في بلاد العرب، أو المبشرين بعقيدة اليهود المطالبين بحقهم المغتصب كما يزعمون.

وإذا كانت اليهودية الصهيونية قد بذلت الملايين لنشر فكرها في أوروبة وأمريكا، فإنها قد حصلت على ما تريد في بلاد العرب مجاناً، وهذا الكلام لا مبالغة فيه ولا غلوّ، وإنما هو الواقع المسطور في مصادرنا العربية والإسلامية، ويشمل هذا الحكم القرون الإسلامية كلها، منذ بدأت الرواية والتدوين إلى أيامنا سنة 2006م.

فقد أُولع القدماء بالإسرائيليات المنقولة عن التوراة، فإذا بكتاب يهود وشروحاته مبثوثة في كتب التفسير والتاريخ والمواعظ، والفضائل والسيرة، والحديث، يسدّون بها ثغرة تاريخية، أو يفسرون آية قرآنية، أو يلبون رغبة العامة في غرائب الأخبار، وربما جعلوها في أسفارهم، يقصون الملاحم الأسطورية، قبل أن تدوّن سيرة عنترة بن شداد، وأبي زيد الهلالي، والزير سالم.

والذي كان يُروى للتسلية والتفكهة، دُوّن في الكتب، على أنه إحدى الروايات في توضيح غامض، أو تعيين مبهم، أو تفسير اسم لمكان.

وبلغ من تصديقهم الأخبار التوراتية أنهم شرحوا القرآن بالتوراة، وعارضوا ظاهر لفظ القرآن بالإسرائيليات، وصرفوا اللفظ القرآني عن الحقيقة إلى المجاز اعتماداً على نصّ توراتي.

فإذا قال القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، قال المفسرون: إن آزر عمه، وليس أباه، وإن أباه اسمه «تارح»؛ لأن التوراة نطقت بذلك. ووافق ذلك هوى في نفوس بعض المفهومات التي ترفض أن يكون أبو إبراهيم مشركاً، كما يرفضون أن يكون عبد الله أبو «محمد» مشركاً.

وإذا قال القرآن في قصة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، قالوا: إنه رفع أباه، وخالته، وإن الخالة بمنزلة الأم؛ لأن التوراة قالت: إنَّ راحيل أم يوسف، ماتت في فلسطين، وهي مدفونة في بيت لحم. . وأقام المسلمون فيما بَعْدُ عليه بناءً يُزارُ، وبعد سنة 1967م صار محجاً لليهود، وعندما استلمت السلطة الفلسطينية بيت لحم، حسب اتفاق أوسلو عام 1994م، بقي المقام وما حوله بيد اليهود؛ لأنهم أولى به كما يزعمون.

وإذا حكى القرآن قول موسى لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، فسروا﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ بأن الله وعدهم بها على لسان أبيهم يعقوب أو إبراهيم، اعتماداً على ما قالته التوراة الكاذبة، وحددوا الأرض المقدسة بأنها من الفرات حتى عريش مصر، أو من الفرات إلى النيل، اعتماداً على تحديد التوراة للأرض «الموعودة». . فانظر كيف ملَّكوا اليهود أرضنا وديارنا، وجعلوا ذلك وعداً من الله لهم، وكلُّ هذا موجود في التفاسير.

وكنت لا أصدق مَنْ يقول لي: إن شيخ الإسلام، شيخ أهل السنة والسلف في عصره، ابن تيميّة لم يسلم من التأثر بالإسرائيليات حتى قرأت له رسالة بعنوان «مناقب الشام وأهله»[1]؛ حيث ذكر نجاة موسى وغرق فرعون، واستشهد بقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

---

(1) كلام ابن تيميّة له تأثير قوي في نفوس ملايين من أهل السُّنّة، والسلفية، وقد حققه شيخ السلفية في العصر الحديث ناصر الدين الألباني، ونشره المكتب الإسلامي.

ثم عقّب على ذلك بقوله: ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أُورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها، بعد أن غرق فرعون في اليمّ.

وكلام ابن تيميّة هذا ليس له وجود خارج النصّ التوراتي، وليس له مصدر في الأحاديث النبويّة الصحيحة.. والحقيقة أن كثيراً من المفسرين قالوا: إن قوم موسى قد عادوا إلى مصر، بعد غرق فرعون، والأرض التي أورثهم إياها هي أرض مصر، ولم يدخلوا أرض فلسطين.

ومن أسوأ ما في تفسيره: قوله: «مشارق أرض الشام ومغاربها»، ويفسره اليهود أنه من الفرات إلى النيل. ومن العجيب أن ابن تيمية عدَّ هذا الميراث من مناقب الشام وأهله.

وعدّ من مناقب الشام أيضاً: وجود مملكة سليمان في الشام، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: 81].

قال: وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان..

وتحديد مكان مملكة سليمان بأنها في الشام أو في القدس ليس فيه نصٌّ من الحديث النبوي الصحيح، وإنما هو مأخوذ من التوراة.

والشعر أيضاً لم يخل من الخرافات اليهوديّة، فهذا الشاعر ابن مطروح (يحيى بن عيسى ـ ت 649هـ)، يستخدم الأساطير اليهودية في شعره، حيث قال:

وما أنسَ لا أنسَ المليحةَ إذْ بدتْ ... دُجًى فأضاءَ الأفقُ من كلِّ موضع

فحدثتُ نفسي أنها الشمسُ أشرقتْ ... وأنّيَ قد أوتيتُ آيةَ يُوشع

يشير الشاعر في الشطر الأخير إلى خرافة إسرائيلية وردت فيما يسمى: «سفْر يشوع» من كتاب يهود المسمى: «التوراة»، تقول الخرافة: إن يوشع بن نون ـ خليفة موسى ـ قاتل الجبارين الكنعانيين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس للغروب، خاف أن تغيب قبل فراغه من القتال، ويدخل يوم السبت، فلا يحلُّ له قتالهم فيه، فأمر يوشع الشمس بالوقوف [سفر يوشع / 10/ 13 ـ 14].

ومن الغريب أن الرواة صاغوا من هذه القصة حديثاً أوصلوا سنده إلى رسول الله ﷺ، يقول: «ما حبست الشمس على أحدٍ، أو بشرٍ قطُّ إلا على يوشع بن نون،

ليالي سار إلى بيت المقدس» رواه السيوطي في «الجامع الصغير» عن الخطيب، وقال: إنه ضعيف.

قلتُ: بل هو موضوع. ونعرف أن نسبة كلام إلى رسول الله له تأثير كبير في نفوس المسلمين، والعامّة لا تفرّق بين حديث صحيح وحديث موضوع، فالذي يجذبُهُمْ إلى الكلام عبارة: «قال رسول الله...»، وهذه العبارة تعطّل التفكير عند العامة.

وأشار أحمد شوقي أيضاً إلى هذه القصة، في مطلع قصيدته: «توت عنخ أمون»، فقال يخاطب الشمس، وجعلها أخت يوشع:

قفي يا أُختَ يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

وكنا نرجو من أهل العصر الحديث أن يدركوا أضرار إذاعة الإسرائيليات وأثرها السيئ في الأمة، وخصوصاً بعد الهجمة اليهودية على فلسطين، واستخدامها التاريخ الكذاب سلاحاً لتخذيل العرب والمسلمين، واستدرار عطف الشعوب الأوروبية والحصول على دعمهم، ولكن الباحثين والمؤلفين، والوعاظ والخطباء لم يستطيعوا التفلت من براثن الأساطير التوراتية.. وأعتقد أننا بحاجة إلى ثورة ثقافية، تشارك فيها جميع المؤسسات الثقافية والتربوية والإعلامية لتحصين العقل العربي، وإكسابه المناعة ضد الغزو التوراتي، ثورة ثقافية تبدأ من المدارس، وتصعد إلى الجامعة، وتعمّ المساجد والكنائس العربية أيضاً[1].

ومما يزيد الأمر صعوبة: أن القصص التوراتي مبثوث في جميع المصادر العربية والإسلاميّة، وتسلل إلى الأحاديث النبويّة، وتفسير القرآن.

ومما زاد الطين بلة، وجعل الطريق إلى الإصلاح وَعْراً، وفود مصدر جديد للإسرائيليات، أو اليهوديات، من بلاد أوربة، وأمريكا متأثر بالمدرسة اللاهوتية التوراتية، التي ترى أن «التوراة» مصدر تاريخي مقدس، لا يُردُّ قوله.

---

(1) قلت: الكنائس العربية؛ لأن بعض المذاهب المسيحيّة تعدُّ توراة اليهود كتاباً مقدساً، وقد جمعوا بين التوراة والإنجيل في مجلد واحد سموه: «الكتاب المقدس»، وأعطوا التوراة اسم: «العهد القديم»، والإنجيل: «العهد الجديد».

وقد تسرب هذا الوافد الجديد، عن طريق أساتذة الجامعات الذين حصلوا على شهاداتهم العالية في التاريخ من الجامعات الأوربية، وتربعوا على كرسي التاريخ في الجامعات العربية في النصف الأول من القرن العشرين، وتخرّج على أيدي هؤلاء مئات من أساتذة التاريخ، وأشرفوا على مئات من الشهادات العليا.

وتُرجمت كتب كثيرة إلى العربية تحمل الأفكار التوراتية، وصارت من مصادر الدراسات العليا والبحث التاريخي. ومضت عقود من القرن العشرين، كان يُفرض فيها على طلبة الدراسات العليا الرجوع إلى عدد من الكتب التاريخية التي ألفها عدد من المستشرقين والأوروبيين، ومَن لم يرجع إلى هذه المصادر، كان يُعدُّ بحثه ناقصاً.

ومما عيب على طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»: أنه جعل كتاب «التوراة» مساوياً للقرآن في الأخبار، أو في صحة الأخبار، وكانت هذه من ضلالاته التي أخذها من دراسته في فرنسا، وتأثره بالمستشرقين..

• ومنَ الغرائب: أن المؤسسة التي كنا نرجو أن تكون حارسة للتراث، دافعة عنه كلَّ مكروه، هذه المؤسسة كانت في مقدمة المذيعين لتراث اليهود بلسان عربي.. هذه المؤسسة هي الجامعة العربية، التي نقلت إلى العربية بعض الكتب الأجنبية، وتبنت أفكارها في مؤلفات تالية أشرفت عليها. فصدر عن إدارة التأليف والنشر في الجامعة العربية كتاب «قصة الحضارة» من تأليف ول ديورانت، وترجمة محمد بدران، وزكي نجيب محفوظ. هذا الكتاب يتضمن كثيراً من الأفكار اليهودية التي تزعم ملكية أرض فلسطين بناء على الوعد الإلهي. انظر: (ص322، 324) من كتاب «قصة الحضارة»، الجزء الثاني.

• وصدرت «الموسوعة العربية الميسّرة» تحت إشراف لجنة من العلماء الباحثين العرب، يرأسها الأستاذ محمد شفيق غربال[1] عندما كان مديراً لمعهد الدراسات

---

(1) ألقاب الرجال، ووظائفهم، ومراتبهم لها تأثير كبير في نفوس العامّة، وبناءً على مكانة الرجل في السلم الاجتماعي والوظيفي، يكون قبول الكلام أو رفضه، و«محمد شفيق غربال» كان يلقّب بـ: (شيخ المؤرخين)، وتولى وظائف علمية كبرى، فهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ودرّس التاريخ في الجامعة المصرية القديمة، وصار عميداً لكلية الآداب، وتولى إدارة معهد الدراسات العربية في جامعة الدول العربية: فكل كتاب يؤلفه أو يشرف عليه، تعدُّه العامة حجة في بابه. وهذا خطأ =

العربية، التابع للجامعة العربية. هذه الموسوعة كانت متأثرة أو متأسية بنظرة الدارسين اللاهوتيين[1] إلى التوراة، بوصفها نصاً مقدساً، ومصدراً تاريخياً. . فنهل المؤلفون من مناهل التوراتيين في ترجمة العنوانات المتصلة بفلسطين والشام في التاريخ القديم، بل نستطيع أن نقول: إنهم نقلوا في الموسوعة ما قالهُ التوراتيّون الأوربيون بنصه. وقد اعترفت لجنة التحرير في المقدمة أنها لخصت مادتها من الموسوعات العالمية، وخصت بالذكر موسوعة «كولومبيا فايكنج دسك»، وأذكر مثالاً واحداً لتأثر محرري الموسوعة بالمذهب اليهودي في التاريخ، في مادة: «إبراهيم»، وأجتزئ من الترجمة عبارات؛ لمناقشتها.

• إبراهيم الخليل: **قالت الموسوعة: «رأس سلالة العبرانيين»**، هكذا بصيغة التقرير، مع أن تلقيب إبراهيم بـ (العبري) ليس ثابتاً، ولا يوجد في مصدر عربي إسلامي موثوق، ولم يرد إلا في المصادر اليهوديّة. ولو كانت «العبري» صفة مدح، ما تركها العرب والمسلمون؛ لأنَّ «إبراهيم» له مقام عليٌّ عند العرب والمسلمين من جهتين: الأولى: من جهة النسب، فهو أبو إسماعيل، جدّ النبيّ محمد ﷺ، وجدّ العرب بعامة على التحقيق (انظر: العرب العاربة والمستعربة)، والجهة الثانية: من ناحية الدين: فهو أبو الأنبياء، وخليل الله، وهو الذي وضع اسم «الإسلام» ﴿ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾، وهو رافع قواعد الكعبة التي يحج إليها المسلمون، ويتجهون إليها في صلاتهم، وهو واضع أسس قواعد الحج. . إلخ. فالحج إحياء لسنة إبراهيم.

ولم يوجد في التاريخ شعب يقال لهم: العبرانيون. ووجد اسم «العابيرو»، وقال المؤرخون: إنهم جماعات من أماكن شتى لا تربطهم رابطة مكان أو نسب،

= كبير. لأن «الحقَّ» يُعرف بالرجال الأنبياء فقط، و«الأحاديث النبويّة» في صحيح البخاري لا نصدقها لشخص البخاري، وإنما نصدقها لصحة المنهج الذي اتبعه في رواية الأحاديث في صحيحه. وقد روى في «الأدب المفرد» أحاديث دون درجة الصحيح. . فليتق الله كلُّ صاحب منصب فيما يقول ويكتب، أو يقرظ من الكتب. توفي محمد شفيق غربال سنة 1961م.

(1) لاهوت، أو اللاهوت: علم على العقائد المسيحيّة، ولا يكاد يستعمل في الدراسات العربية الإسلامية. ويستعمل المسلمون لفظ: «الألوهية»، والنسبة إلى «الإله»: إلهي، وحكمة إلهية، وآيات إلهية.

وكانوا يجتمعون على السطو والغزو، ومنهم مَنْ يلحق الجيوش الغازية، أو يعملون مرتزقة. ولو كان المحررُ في الموسوعة عربياً، أو عربياً مسلماً، لقال: هو رأس العبرانيين كما يزعمون.. أو أي تعبير يدلُّ على رفضه هذا الوصف.

وقالت الموسوعة: «**وهو مؤسس اليهوديّة**» بصيغة الجزم والتقرير. وفي هذا التقرير خطأ تاريخي، وخطأ ديني:

أما الخطأ التاريخي: فهو أن اسم اليهود لم يظهر إلا في العهد الفارسي في القرن الرابع قبل الميلاد، ونشأت اليهوديّة متأخرة، بعدما سُمّي «السبي البابلي»، وهي منسوبة إلى مكان اسمه «يهوذا»، فكيف يؤسس إبراهيم اليهودية، وقد نشأت بعده بأكثر من ألف سنة، بل بعد داود وسليمان بأمدٍ طويل؟! فهي علاقة مزعومة مدَّعاة، كما ينسب الوضيعُ نفسه إلى نسب شريف.

وأما الخطأ الديني: فهو أن محرر المادة، أو ناقلها، قد خالف النص القرآني الذي يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ رداً لما كان يزعمه اليهود، بأن إبراهيم صاحب دينهم.

وقالت الموسوعة: «**وعده الله أرض كنعان لنسله من ابنه إسحاق**» بصيغة التقرير، أو الإخبار الواقعي الذي لا يناقش.

واختار المحرر من الوعود التي تكررت في التوراة: وعْد الله المزعوم أن تكون لنسله من إسحاق، مع أن أقدم الوعود في التوراة أن تكون لنسل إبراهيم بدون قيد. ومن المعروف أن إسماعيل أبا العرب ابنُ إبراهيم الأكبر، ولكن اليهود يكررون الوعد لإسحاق، وليعقوب؛ لحرمان إسماعيل من الميراث..

مع أن هذا «الوعد» غير موثوق دينياً؛ فالإنجيل والقرآن لم يذكراه، ولو كان حقيقةً؛ لحكاه القرآن فيما قصَّ علينا من قصص إبراهيم وأبنائه وأحفاده.. وهذا الوعد الإلهي المزعوم، لا تبنى عليه حقوق دنيويّة إلا فيما بين أهل الملّة الواحدة التي ينظم حياتها شرعٌ خاص بها، أما أصحاب الشرائع الأُخرى، فليسوا بمجبورين بما يراه أهل ملةٍ من الملل، ومثل هذا الوعْد المزعوم ينافي الحكمة الإلهية في عمران الكون،

لأن الله لا يعدُ شعباً ذا عرق واحد، وإنما يعدّ المؤمنين بالله من كل عرق ولون. . ولأن الوعد لنسل أو عرْق فيه ظُلم لخلق الله. .

ثم إن الذين ينقلون هذا الوعد المزعوم يربطونه باليهود؛ لزعمهم أنهم الجيل الذي ينتمي إلى إبراهيم نسباً وديناً:

أما النسب، فقد ثبت أن انتماء اليهود إلى إبراهيم هو ادّعاء باطل، ليس فقط اليهود الذين يعيشون في القرن الحادي والعشرين، بل يشمل اليهود القدماء أيضاً.

وأما الدين، فقد نفى القرآن علاقة إبراهيم بالديانة اليهودية، عندما قال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾، وفي الآية نفي للدين والنسب معاً؛ لأن اليهود يدّعون النسب.

• وعندما تحدثت الموسوعة عن علاقة إبراهيم بالعرب جاء الأسلوب بصيغة التمريض، فقال المحرر:

«**أطلق عليه المسلمون لقب: خليل الله**»، مع أن وصف إبراهيم بـ «الخليل» ليس من وضْع المسلمين، وإنما هو من كلام الله في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾.

وقالت الموسوعة: «**ويعدّونه جدّ العرب**»، هكذا «يعدّونه» يحكيها عن العرب والمسلمين، وكأن المحرر العربي لا يؤمن بأبوة إبراهيم للعرب، ولو كان المحرر يؤمن بنسبة العرب إلى إبراهيم، لقال بصيغة التقرير: «وهو جدُّ العرب».

وأبوّة إبراهيم للعرب ثابتة بتواتر ليس له مثيل: فقد قال القرآن مخاطباً العرب قاطبة: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة، في قصة هاجر أم إسماعيل، قال: «تلك أُمكم يا بني ماء السماء» يخاطب العرب يمنهم وعدنانهم، ومَنْ كانت هاجر أُمه، كان إبراهيم وإسماعيل أبويه؛ لأن هاجر زوج إبراهيم، وأم إسماعيل. ونسبة العرب إلى إسماعيل ثابتة بالتواتر، ويعترف اليهود أن إسماعيل هو ابن إبراهيم، وبذلك يكون إبراهيم أبا العرب.

وقال المحرر بصيغة التمريض: «**فهو عندهم أحد الأنبياء، والجدُّ الأعلى لمحمد**»، قال: «فهو عندهم»، فهو يترجم لعقيدة لا يؤمن بها، وهذا دليل على أن مادة الترجمة مأخوذة عن الموسوعات الأوربية والأمريكية. إنه الأسلوب المتبع في الترجمات التي يكتبها الذين لا يؤمنون بالقرآن والإسلام، وهو الأسلوب الذي يتبعه قاموس «المنجد»؛ لأنه معجم يعبّر عن رأي النصارى. ولكن صدور هذا الكلام عن خبراء الجامعة العربية أمر مستهجن.

والأمثلة لنقل الإسرائيليات في هذه الموسوعة كثيرة، وانظر ترجمات: «داود»، و«سليمان»، و«المسجد الأقصى»..

هذا، وفي أول صفحات الموسوعة، كتاب من مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، سنة 1959م، بالموافقة على تأليف هذه الموسوعة تحت إشراف الهيئة المذكورة.

• **ومن أمثلة استمرار نقل الأفكار اليهودية التي تضرُّ بالمصلحة الوطنية، أو القومية، أو الإسلامية:** سلسلة دراسات متصلة بالقرآن، كتبها، وأخرجها شيخ من شيوخ الإسلام في العصر الحديث، اسمه «محمد علي الصابوني»، عمل زمناً أستاذاً بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة.

بدأ السلسلة بمختصر تفسير ابن كثير.

والمعروف أن تفسير ابن كثير يُعدُّ مستودعاً للإسرائيليات، يذكرها إما للتفكهة وتحلية الكلام، وإما للاستئناس بها في تفسير ما سكت القرآن عن تفصيله من أخبار الأنبياء والأمم الماضية.

وذكر الصابوني في مقدمة مختصره: أنه أسقط الروايات الإسرائيلية، سواء كان غرض المؤلف الردّ عليها، أو الاستشهاد بها، فهل حقق المنهج الذي اختطه؟

كلاّ؛ لقد أبقى كلّ الإسرائيليات التي تتصل بأرض الشام بعامة، وأرض فلسطين بخاصة، بل كان يأتي في الحاشية بإسرائيليات لم يذكرها ابن كثير، وينقلها عن كتب تفسير أُخرى.

وإليك مثالاً من «إسرائيليات» الصابوني القاتلة، التي تدلُّ على جهله بالدين والتاريخ، كما تدل على غفلته عن هموم الأمة، وعدم إدراكه أن اليهود استعملوا «الإسرائيليات» سلاحاً لجلب الأنصار لهم من المسلمين، ومن الأوربيين معاً.

ففي تفسير قوله تعالى على لسان موسى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾، ينقل الصابوني هذا التفسير لهذه الآية: يخبر الله عن تحريض موسى لبني إسرائيل على الجهاد **والدخول إلى بيت المقدس**، الذي كان **بأيديهم** في زمان أبيهم يعقوب، لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى مصر أيام يوسف، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى، **فوجدوا فيها قوماً** من العمالقة الجبارين، قد **استحوذوا عليها**، وتملكوها، فأمرهم موسى بالدخول إليها، وقتال أعدائهم.

ونقل في تفسير: ﴿ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: التي وعدكم الله على لسان أبيكم **إسرائيل** أنه وراثة مَنْ آمن منكم. [سورة المائدة: 21].

ونكتب في ذيل هذا التفسير التعليقات التالية:

قوله: «والدخول إلى بيت المقدس»: . . ما الدليل على أن الأرض المقدسة هي «بيت المقدس»؟ لا يوجد نصٌّ في القرآن، والحديث النبوي الصحيح ينصُّ على أن المراد بالأرض المقدسة هي القدس. . فهذا تفسير ظنيّ، وقد نُقل عن ابن عباس أن الأرض المقدسة هنا هي «الطور، وما حوله»، ويقوّي هذا التفسير أن الله وصف المكان الذي نزل فيه الوحي على موسى، بأنه مقدس. فقال: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾، وأقسم الله بالطور فقال: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾.

ومن الطبيعي والمعقول أن تكون الأرض المقدسة عند بني إسرائيل هي الأرض التي أوحي فيها إلى نبيهم موسى، وهكذا حال الأنبياء من بعد موسى؛ فقد أُوحيَ إلى عيسى في القدس، والناصرة، فكانت فلسطين هي الأرض المقدسة عند النصارى. وأوحي إلى النبي محمد ﷺ في مكة والمدينة والقدس حيث الإسراء والمعراج، فتعلقت قلوب المسلمين بها. . أما موسى، فإنه لم ير القدس، ولم يدخلها، ولم يوح إليه فيها. . ولم يوح إلى إبراهيم ويعقوب وإسحاق في القدس؛ لأنهم لم يسكنوها، ولم يُدفنوا فيها.

ومع أن ابن كثير روى قول ابن عباس بأن الأرض المقدسة هي الطور وما حولها، ولكن الصابوني شدّته الإسرائيليات، فوضع حاشية تقول: «المراد بالأرض المقدسة»: بيت المقدس، وما حوله. وزاد تفسيرها فقال: ويقال لها: «إيلياء». . فزاد إسرائيلية فوق الإسرائيليات.

قال أبو أحمد: إنَّ تعيين أسماء الأمكنة التي سكت عنها القرآن، وتعيين أسماء الأشخاص الذين سكت القرآن عن تعيينهم، أُخذ كله من كتاب يهود، والمعروف أن كتاب يهود من تأليف رجال اليهود، وليس من عند الله.

قوله: «الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب».

قلتُ: وهذه إسرائيليّة توراتيّة يهودية، وهي تخالف ظاهر النص القرآني، وتخالف الواقع التاريخي؛ فقد قال الله تعالى على لسان يوسف يوم قدم عليه أبواه: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100]، والبدو: أي: من البادية؛ لأنهم كانوا أهل غنم.. بدليل أن الله قال في أول القصة: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾، وفي القصة: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، والذئب يحوم حولَ الأغنام.

وفي القصة: ﴿أَن تَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ أي: البئر، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾، كل هذه شواهد تدل على أنهم كانوا بالبادية، فالقدس لم يكن بها آبار، وإنما كان الناس فيها يجمعون ماء السماء في صهاريج.. يحفرونها، ولا تكون عميقة الغور، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾؛ أي: قافلة تجارية عابرة، ومدينة القدس لم تكن تمرُّ بها قوافل الجمال التجاريّة.

فالقدس ـ في زمن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ كانت مدينة يبوسية كنعانية محصنة.. واليهود يزعمون أن أول مَنْ دخلها (داود).

قوله: **«فوجدوا فيها (بيت المقدس) قوماً من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها»..**

قلتُ: هذه خرافة يهوديّة أيضاً؛ لأن هذا التفسير يوحي بأن فلسطين، أو بيت المقدس، كانت خالية من السكان، ما عدا أسرة يعقوب، وأن العمالقة حلّوا محل أسرة يعقوب.. مع أن اليهود يقولون في كتابهم: إن القدس كانت مسكونة من الكنعانيين أيام هجرة إبراهيم.

وأسوأ ما في هذا التفسير: أنه أعاد كلام اليهود في توراتهم، عندما فسر قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أنها الأرض الموعودة، وهو اللفظ اليهودي الذي

يحرضون به اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ويسوغون به طرد أهل فلسطين وإحلال اليهود محلهم؛ لأنها في زعمهم «أرض الميعاد».

وألف الصابوني كتاباً: في قصص الأنبياء، سماه: «النبوّة والأنبياء»، والمعروف أن قصص الأنبياء مستودع للإسرائيليات.. فقد أوجز القرآن قصص الأنبياء، وذكر جانب الحكمة والموعظة في قصتهم، وأغفل التفصيلات التي لا تفيد المسلم، فلما ألف المؤلفون في قصص الأنبياء، حشدوا فيها كلّ ما ذكره اليهود في كتابهم، ما عدا عيسى ومحمداً ـ عليهما السلام ـ؛ لأن التوراة كُتبت قبلهم.

وقد قال الصابوني في مقدمة الكتاب: إنه طرح من قصص الأنبياء ما كان من الإسرائيليات البعيدة عن منطق العقل والدين، وهذا يعني أنه ذكرَ إسرائيليات رأى أنها قريبة من العقل والدين، و«الدين» عند أمثال الصابوني: العبادات، والعقيدة، أما الكذب في التاريخ والجغرافية، فليس من الدين، ولذلك فقد أوجز الصابوني الخرافات التوراتية المتصلة بالحدث، ومسرح الحدث، ووزعها على قصص الأنبياء، مع العلم أن مسارح الأحداث التوراتية ـ كما روتها التوراة ـ لا تخرج عن الشام وفلسطين غالباً.. وبهذا، أضاف مصدراً جديداً، منسوباً إلى مشيخة إسلامية يؤكد حق اليهود في فلسطين، فاتخذه اليهود حجةً لهم؛ لأنه كما يقال: «من فمك أدينك».. وهو في الوقت نفسه ساعد على تجديد صلة المسلمين بالإسرائيليات بأسلوب حديث..

قلتُ: إذا أردنا أن نتخلص من الإسرائيليات، فإننا نحتاج إلى ثورة ثقافية لسنوات عديدة.. وهذا ما لا تعطيه الدول والمؤسسات الثقافية عنايتها..

• **والشعر الجاهلي لم يخلُ من الخرافات اليهودية:** فقال النابغة الذبياني يعتذر للنعمان:

إلا سليمانَ إذ قالَ الإلهُ لهُ ... قُمْ في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

وخيّس الجنَّ إني قد أذنتُ لهم ... يبنون تدمرَ بالصُّفَّاح والعمدِ

وتدمر: مدينة في القطر السوري في لواء حمص، من بناء الأموريين العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة، قال ياقوت الحموي: وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود بأكثر مما بيننا وبين سليمان، وقد صدق حدسهم التاريخي، وقال: ولكن الناس إذا رأوا بناءً جهلوا بانيه، أضافوه إلى سليمان، وإلى الجنِّ.

قلتُ: بل أخذه النابغة عن اليهود، إن صحت نسبة القصيدة إليه، والخرافة موجودة في (2، أخبار 4008).

قلتُ: هي مدينة أمورية عربية، واسمها «تدمر» من لفظ «التمر» أو «الثمر»؛ لأنها كانت ذات نخيل، وأعطاها اليونان اسم «باليميرا» من اسم ثمرة النخيل في إحدى مراحلها، وهو «البلح» قبل أن يصبح رطباً وتمراً. ومن ذلك «دير البلح» في ديار غزة حرسها الله من اليهود الذين حرّفوا توراة موسى، فكذبوا على الله، وحرفوا التاريخ وزيفوه، فكذبوا على الناس.